

-المحاضرة رقم (9): السرد العجائبي

تداخل دلالة المصطلحات لكل من (الخارق ،والعجب،والغريب) لدى القارئ، ولتحديد مفهوم العجائبية نقف على ضبط المفاهيم، كالتالي:

1- مصطلح خارق / (Fantastic/Fantastique)

يقوم الخارق على تقاطع نقائضين :

العقلانية : التي ترفض كل مالا يقبل التفسير ، اللامعقلانية : التي تقبل بوجود عالم غير عالمنا ، له نظامه ومقاييسه المخالفان لتجربتنا البشرية ومبادئنا العقلانية ، من هنا ينطلق "تفتان تودورو夫" (T.Todorov) ، ليعرف الخارق بأنه نوع أدبي يتعدد مفهومه قياسيا إلى الحقيقة والخيال ⁽¹⁾. كل ما هو منطقي واقعي وغير منطقي غير واقعي . مرج بين الواقع والتخيل . ومن المصطلحات التي تداخل ضمن هذا المفهوم مصطلح العجيب .

2- مصطلح عجيب / (Le Merveilleux)

يتميز العجيب بأنه ينتمي إلى عالم لا يشبه عالم الواقع بل يجاوره من دون اصطدام ولا صراع ، رغم اختلاف القوانين التي تحكم العالمين وتبادر صفاتهما ، فقاريء الحكايات العجيبة ، كألف ليلة وليلة يتعايش مع السحرة والعمالقة والجان فيطمئن إلى بعضها وبخشي بعضها الآخر ، وهو من بداية القصة يترك عالمه الواقعي وينتقل بالفكر إلى عالم آخر مسلما بقوانينه ومنطقه ⁽²⁾ . ويتشاكل مفهوم العجائبية مع الغرائبية من الناحية الدلالية .

⁽¹⁾ لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، ص 86.

⁽²⁾ المرجع نفسه ، ص 87.

3-العجائبية والغرائية :

من الناحية اللغوية نجد أن كل من العجيب والغريب يشتركان في دلالة واحدة هي الغموض والضبابية والغير المألوف . والغريب عند" الراغب الأصفهاني " ما انفصل بعيدا عن المرء فهو غريب، وكل شيء لا يشبه جنسه فهو غريب، ومن هنا قول الرسول (صل الله عليه وسلم) عن الإسلام : (أنه ظهر غريباً) ، والغريب كل أمر عجيب قليل الوقع، مخالف للعادات المعهودة، والأحداث والمشاهد المألوفة ⁽¹⁾.

ومن مفهوم الاصطلاحى للمفاهيم نقف على ضبط بدايات وخصائص الخطاب العجائبي في الدراسات القديمة والحديثة ، حيث اهتم النقاد والباحثين بدراسة النص العجائبي والغرائي أو الفانتاستيكي فاختلفت زوايا النظر والبحث في مختلف المصنفات التي اهتمت بالرواية أو القصة أو الحكاية والخرافة حتى في الشعر .

4-العجائبية / الفانتاستيك (Fantastic) :

إذا كان النص الأدبى يقدم للقارئ محكيا واضحأ أو على الأقل محكيا معقولا، فإن الفانتاستيك لا يكشف عن رسالته كما في غالب . وليس كل طبعا . الأجناس مباشرة ومنذ الوهلة الأولى . إنما تتشكل اللعبة السردية (Jeu Narratif) في الأدب العجائبي في شكلها وفي المضمون إلى درجة من الغرابة وقدان المعقولية ⁽²⁾

ولقد وردت العديد من التعريف ((التي تشمل العجائبية في كتاب "تودوروف" ، حيث عرض أراء بعض النقاد ، مثل: "بيار جورج كاستس " PierreGeorge Castex) في الحكاية العجائبية في فرنسا " يتميز العجائبي... بتدخل عنيف للسر الخفي في إطار الحياة

⁽¹⁾ ينظر : سناء كامل أحمد شعلان ، رسالة ماجستير (السرد الغرائي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الأردن من 1970 إلى 2002) اشراف: إبراهيم نبيل ، الجامعة الأردنية ، 2002 ، ص 16 ، 17.

⁽²⁾ ينظر ، الحبيب أعزىزي، في أدب الفانتاستيك، من الواقع <http://elsada.net/> 28 / سا40: 21:40 2022

الواقعية ، ويكتب "لويس فاكس" (Louis Facs) في (الفن والأدب العجائبيان): (يجب القص العجائبي ...أن يقدم لنا بشرا مثنا فيما يقطنون العالم الذي توجد فيه، إذا بهم فجأة يوضعون في حضرة المفترق عن التفسير...) ويضيف "تودوروف" في تعريفه للعجائبي بأنه: التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية ، فيما يواجه حدثا (فوق) الطبيعي حسب الظاهر))⁽¹⁾ ، فالخطاب العجائبي هو كل خطاب فوق طبيعي بشخصياته وأحداثه وفي ووصفه وسرده للفضاء والزمان بكل ما هو غريب خارق ولا مألوف .

- خصائص السرد العجائبي / الفانتاستيكي:

يتميز السرد العجائبي بخصائص تجعله يتفرد بها عن كل أنواع الخطابات الأخرى ، مثل : (الرومانسية ، السياسية ، البوليسية ، الاجتماعية ، الفلسفية ، التاريخية ...) ، ((حيث يشكل الخطاب في الفانتاستيك بعدا أساسيا ومقاييسا يؤسس للبنية السردية شروطها ومكوناتها))⁽²⁾ التي تتمثل في : (الحدث العجائبي ، الشخصيات العجائبية ، الفضاء العجائبي ، الزمن العجيب ، السرد والوصف العجائبي ، السارد العجيب) كما يمكن أن تتتوفر هذه الخصائص في الخطاب أو بعض منها أو أحدها بحسب طبيعة النص الحكائي العجائبي ، مثل : (القصة الشعبية ، الحكايات ، الأسطورة ، الخرافات ، أدب السير ، الرواية ، الشعر القصصي ، الملحمة ، الأدب الصوفي ، أدب الرحلة ...).

- نماذج من السرد العجائبي:

ويعد الأدب العربي القديم حافل بالنصوص الغريبة والغريبة والعجائبية من حكايات وقصص متداولة عبر الأجيال ، وممنه فإن ((الأشكال والأساليب النثرية القديمة للعجائب هي إفراز لعوامل متعددة ، منها ما هو واقعي بتناقضاته العنيفة ، وصراعات داخلية تذهب

⁽¹⁾ ينظر : زينب شهادة ، السرد العجائبي بين الموروث العربي والغربي (دراسة وتحليل لبنية النص العجائبي)، مجلة (لغة - كلام) مختبر اللغة والتواصل ، جامعة غليزان ، الجزائر ، المجلد 7 ، العدد 1 ، 2021 ، ص 301.

⁽²⁾ شعيب حليفي ، شعرية الرواية الفانتاستيكية ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، لبنان/منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2009 ، ص 141.

باستمرار، أما العمال الآخر فهو محاولة المشتغلين في النثر شد انتباه المتلقي إلى ما يكتبون من خلال سرد تلك العجائب⁽¹⁾، ومن نماذج السرد العجائبي ذكر:

- القصص الشعبية والسير:

1/ **قصص "ألف ليلة وليلة"** : التي تضمن بنية تعجبية من خلال وصف عالم فوق طبيعي داخل عالم مألف وشخص يطالهم الامتساخ والتحول ، إن ألف ليلة وليلة هي نوع من خرق الواقع (Transgression du Reel) (حسب تعبير "أوستورفسكي" Ostorwski) لعالم يختلط فيه الجن بالإنس والخارق بالمألف ، الشيء يولد حيرة وترددًا في نفسية المتلقي⁽²⁾.

2/ **قصة الزير سالم الكبير**: تحكي هذه القصة سيرة "الزير سالم" وحرب البوسوس، والتي تسرد أحداث عجائبية ومشاهد غريبة للبطولة والبسالة والشجاعة الخارقة التي يتميز بها "الزير" البطل الشعبي من خلال الوصف.

2/ **رسالة الغفران** : تعد رسالة الغفران قمة النبوغ الفكري في القرن الرابع الهجري، إذ تمكن "المعري" من اقتحام عالم العجائبية ، فقد حملت رسالته عدداً كبيراً من الأنواع الأدبية ، جاءت في أسلوب متفرد. يعرّج "ابن القارح" من الأرض إلى السماء، ليجول في فضاءات الجنة والنار ، سائلاً أهل النعيم عن سبب ولو جهم الجنة، ويسأل أهل الجحيم عن حالهم ، فيلقى الجواب من البعض، ويأتي البعض الآخر الرد لاشتغاله، في الخيرات والنعيم أو معاناته من نار الجحيم ، يعتبر لقاء "ابن القارح" بكل شخصية من شخصيات النص قصة في حد ذاتها تنتهي بالمرور إلى الشخصية الموالية⁽³⁾ .

⁽¹⁾ شعيب حلبي ، شعرية الرواية الفانتاستيكية ، ص 15.

⁽²⁾ المرجع نفسه ، ص ن.

⁽³⁾ شهادة زينب ، قراءة في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري 363/449هـ (رؤبة أنثروبولوجية دينية) ، مجلة أنثروبولوجية الأنبياء ، جامعة تلمسان ، الجزائر ، المجلد 18 ، العدد 1 ، 15/01/2022 ، ص 143.

الأدب الصوفي: تحتوي المصنفات الصوفية على جوانب عجائبية في الوصف ، (حيث تتضمن العديد من الخوارق والتي يتم إدراجها ضمن كرامات أولئك الشخصوص مقابل معجزات الأنبياء. مثلما نجد "ابن عربي" في فتوحاته المكية وهو يصف عوالم عليا غريبة زارها ، ولقاءات عجائبية أخرى مثل: شطحات المتصوفة عموما الدين ارتبطت خوارقهم بالحلم والهدايان)⁽¹⁾

القصص الرمزية: والتي تعتمد على الرمز في نسج أحداث القصة ، من خلال اختيار شخصيات حيوانية مثل (كليلة ودمنة) .

كتب الرحلات : التي تسرد لنا الأحداث وفضاء الرحالة وزمانه وتصف الشخصيات والعادات والتقاليد الغربية والغربية من بلد آخر ، مثل وصف عادات الهند وتقاليدهم وطقوسهم بنوع من العجائبية والغرائب . ومن الرحلات رحلة ابن بطوطة ، ورحلة ابن الجبير.

⁽¹⁾ شعيب حليفي ، شعرية الرواية الفانتاستيكية ، ص 16.